أفلام جديدة

فيلم "قلوب ونفوس"

نتساءل عن خروجنا من فيلم « قلوب ونفوس » كيف استطاعت هوليود عاصمة الفيلم الامبريالي والرجعي ان تنتج فيلما كهذا ، فيلم يمكن ان يعد اقوى واشجع تهجم سياسي شنه اميركي على اميركا عبر السينما .

فالمخرج بيتر دافيس يستعلم كل ما لديه ، المضمون والشكل ، لتحطيم ما سمي بسياسة اميركا في فيتنام . ان « قلوب ونفوس » الذي انتجته شركة كولومبيا المشهورة برجعيتها والتي وزعته شركة وارنر الاكثر رجعية يصرح لنا بالاستناد الى وثائق حية ومتعددة المصدر ان المسؤول الاول عن حرب فيتنام هو الشعب الاميركي الذي كان يرتاح اليها والذي لقن اولاده المبادىء (التي لا تستحق ان تعتبر مبادىء) نفسها التي كانت توحي للمسؤولين الاميركيين سياستهم في الهند الصينية . فلو لم يكن الشعب الاميركي متواطىء مع السلطة لما استطاع الحكام في الولايات المتحدة ان يحملوه هذه الحرب بالسهولة التي فعلوا .

عنوان الفيلم مستوحى من عبارة لجونسون قال فيها انذاك « ان الانتصار في فيتنام مرتبط بقلوب ونفوس الذين يحاربون هناك » .

يبدأ الفيلم فنرى طيار اميركي عاد من فيتنام الى المدينة التي نشأ فيها ويستقبله الاف الاشخاص . اسم الطيار هذا الملازم كوكر . يستهل خطبته بالقول : « ان ما جعلني اخوض هذه الحرب هو ايماني : ايماني بعائلتي ، ايماني بالله وايماني بوطني » (كتابي اصيل !) « ان ما جعلني اخوض المعارك هو ان مدينة ليندن جعلت مني مواطنا صالحا » ثم يتابع : « الشيء الرائع في مهنتي هو اني اقوم بواجبي وعندما اصيب الهدف اصابة تامة اعود مطمئنا الى قاعدتي . اهبط طائرتي ليلا . — وذلك رائع — ثم اشرب القهوة . ان الهبوط ليلا من اجمل المناظر في الدنيا » . « كنت اقوم بعملي ولم يكن لدي الوقت ابدا للتفكير باشياء اخرى » ويصفق له الالاف . يذهب بعدئذ لزيارة مدرسة المدينة (مدرسة راهبات) كي يخطب بالاطفال . تعرف عنه المديرة فتقول للتلاميذ (من ٧ الى ١٣ سنة) : « ان لديه اشياء مهمة يقولها لنا . فلنصغي بانتباه » يقول عندئذ الملازم كوكر : « ان الاشياء التي جعلتني اصمد في فيتنام هي الاشياء التي تعلمتها قبل العاشرة من عمري » تسأله فتاة : « صف لنا فيتنام قليلا » فيقول « انها — لولا الشعب الذي يعيش فيها — بلاد جميلة . لكن الشعب هناك وسخ وكسول » ثم يجتمع الملازم كوكر بامهات الاطفال فيقول : « قاعدتي الاولى كانت منزل امي والتربية التي تلقيتها من امي عندما كنت طفلا هي التي جعلت مني جنديا صالحا » فتصفق له الامهات .

يتبعه على الشاشة طيار اخر ترك الجيش الاميركي منذ مدة نادما عما قد فعله فيقول : « ان الشيء الذي كان يطلب منا هو ان نكون خبراء بالطيران والقاء القنابل فقط . لم اكن ارى القرى التي كنت القي عليها القنابل ولا كنت اسمع صراخ الاطفال والنساء والرجال فيها . كنت اقوم بعملي كالدماغ الالكتروني .. وعندما افكر الآن عما اذا رايت يوما اولادي يحرقون بالنابالم ... » هنا يضع يده على وجهه ويصمت فتنصب من عينه الدموع . هذا الطيار يعيش الآن في مدينة دنكان واسمه راندي فلويد .

نرى ايضا مقابلة بين المخرج ووالدين طيار اخر يدعى بينغ اميرسون قتل في فيتنام يقول فيه الوالد : « ان ابني كان واعيا انه كان يقوم بعمل مهم . انه كان يدافع عن مبادىء حضارتنا ونحن لا نأسف لموته لانه مات في سبيل حماية المبادىء التي نعيش لها » وهنا ترى بين يديه لعبة بشكل طائرة فانتوم اميركية كان قد ابتاعها لابنه منذ سنوات عديدة كان بينغ يلعب بها في صغره .

نرى ايضا كاهنا يخطب بالمتخرجين الجدد في مدرسة حربية في الولايات المتحدة (وجميع هذه المشاهد وثائق حقيقية) فيقول لهم : « ان الله يهتم بالواجب الذي تقومون به . فاللعبة الصغيرة التي تخوضونها على الارض الأخرة . عليكم ان تكونوا منتصرين هنا وهناك . لنصلي من اجل انتصاركم » .... فيصلون :

يتخلل الفيلم مشاهد من الافلام التجارية التي كانت تنتج في الستينات عن حروب الجيش الاميركي في المحيط الهادىء والتي نشأ عليها الجيل الاميركي الحالي . في احدى هذه المشاهد ترى جندي اميركي يصرخ باعدائه الصفر : « نسيتم اننا هنا . نحن هنا وسنبقى هنا » نستمع ايضا الى اغاني كانت تقول مثلا للجنود الاميركيين : « قل صلاتك يا جوني واهجم فانت المنتصر » الخ ..

ثم ياتي دور مقابلة مع الجنرال ويستمورلاند الشهيد الذي يشرح كيف تسلم قيادة الجيش في فيتنام ثم يقول في مجرى الحديث : « ان شعوب الشرق لا تعطي للموت الاهمية التي نعطيها نحن له . ان الحياة رخيصة في الشرق » . وهنا تنقطع المقابلة فترى في فيتنام الشمالية امهات تحملن اطفال احرقوا بالنابالم وهن يصرخن ، ترى اب يبكي ابنته الصغيرة التي قتلت اثناء قصف جوي ويصرخ بالذين يصورونه : « خذوا هذه القميص ، قميص ابنتي والقوها في وجه نيكسون وقولوا له ان ابنتي قد ماتت » ، ترى ابن جندي من فيتنام الجنوبية يبكي والده الذي قتل وامه تحاول القاء نفسها في الحفرة التي دفن فيها زوجها .

الخ .. من المشاهد المؤثرة والمؤلمة .

يقول اخيرا احد الاميركيين : « اننا لا نستطيع ان نفهم ما الذي يجعل جنود شمال الفيتنام يقبلون بالعيش في الخنادق وبالطعام الزهيد ولكنهم يتابعون الصراع » .

ولكن نحن نفهم . ونضحك .

ينتهي الفيلم بمشهد لمظاهرة اميركية تدعم حرب فيتنام يشترك فيها بطريقة منتظمة الاطفال والكشاف والبوليس والفتيات والعمال (!) يحملون يافطات كتب على احداها : لا تعودوا الا منتصرين .

ونضحك لاننا نعرف كيف عادت جيوش الولايات المتحدة من فيتنام .

صالاتنا التجارية تستطيع بكل سهولة شراء امتياز هذا الفيلم التجاري الفريد من نوعه . انه فيلم يبصق فيه اميركي بصراحة على وجه اميركا . هل سنراه بدل افلام هوليود البوليسية والغرامية وهو من هوليود ؟

سؤال ينتظر الاجابة !!!

مناقشات

حول مفهوم شعر المقاومة

بقلم ليلى السايح

يبدو مفهوم شعر المقاومة الذي يقصد به تحديدا الشعر ، مع ما يعنيه ذلك من استبعاد غير مباشر للشعر العربي من دائرة المعاصرة والحداثة . واهم عناصرها : الثورة .

ويبدو نتيجة لهذا التحديد تواطؤا مع المكان والزمان العربيين بحالتهما السائدة وليس خروجا بطول — منع امتداد فلسطين — اللغم المفجر وحصرها في اضيق نطاق ، ويحاول الزمان العربي والاجتماعي اقليمي واحد . ان في قولنا هذا اشارة الى الوظيفة المزدوجة التي يؤديها هذا المفهوم : الوظيفة الثقافية ، والوظيفة السياسية .

ستتضح لنا الوظيفة الثقافية بتحليل معنى التخصيص شعريا واثاره على الوعي الجماهيري العربي . وستتضح لنا الوظيفة السياسية بتحليل كلمة « مقاومة » .

نشير بداية الى الترابط بين الجانب الثقافي والسياسي وهو جانب تشارك فيه كل الترابطات الاخرى من ترائية واجتماعية . وتتضح اهمية هذا الترابط فيما يكتبه الفلسطينيون بشكل ادق ، لان هذه الكتابة تجري في ضوء الفعل ، نعني الثورة .

ولا شك ان تفاصيل هذه الترابطات قد انعكست على المصطلحات الثقافية بما فيها مصطلح شعر المقاومة . ويبدو هذا الجانب اشد وضوحا في الدراسات الادبية التي نظرت الى هذا الشعر من زاوية « الايديولوجية » ، وخلقت النقاش المعروف حول نوعية هذا الشعر : المقاومة ام المعارضة ؟

هنا لن نتطرق الى « تقييم » هذا الشعر الا من زاوية صلته بمصطلح « شعر المقاومة » والاثار السياسية والثقافية التي خلفها هذا المصطلح .

ليس من المؤكد الفصل بين الشعر بوصفه فنا بحالة . فما يتحكم في مفهومنا حول الشعر هو المفهوم العام حول الفن . وقد اوجد المفهوم الحديث للفن بوصفه رؤية خلاقة عدة اشتراطات ليس من السهل تناسيها :

اولا :

ليس الفن انعكاسا مباشرا لمعطيات الواقع الموضوعي ، وان كانت هذه المعطيات منطلق الموقف الفني . بل هو تجاوز لهذه المعطيات ، وتشكيل جديد لواقع اخر تغذي نسيجه اشواق الانسان .

ثانيا :

تعني الرؤى الخلاقة الدخول في نطاق الحرية ، حرية ابتداع الكون والخروج على دائرة الضرورة . وبذلك تشكيل الرؤيا الفنية موقفا شاملا من العالم يستهدف تغييره بفعل الحرية .

من هاتين الملحوظتين نستنتج ان الفن بذاته كعمل انساني يحتوي مفاهيم التمرد والانقلاب والحرية والمقاومة . فهو بحد ذاته مقاومة بشكل او بآخر .

فما الذي يقدمه « شعر المقاومة » هنا ؟

انه يخصص ، اي انه يصادر خاصيته عامة في الفن ويجعلها خاصة به ، مع ما يعنيه ذلك — كما قلنا — من تغييب الابداعات الفنية العربية ، فلم يعد ينظر اليها الا من زاوية « فنية » بحتة . بينما انعكس الوضع تماما بالنسبة لهذا الشعر فاصبح ينظر اليه من زاوية « ايديولوجية » بحتة . وسنرى فيما بعد انه حتى ضمن هذه الزاوية كانت الرؤية الايديولوجية قاصرة الى حد كبير .

ان النظر الى الابداعات العربية في ضوء المعطيات الفنية فقط ، قد ترك المجال واسعا امام النقد الشكلي لتزوير اهم التجارب الابداعية ، وعزلها عن مجرى التاريخ العربي المعاصر . كان هذا النقد يخفي بطريق غير مباشر ملامح الثورة العربية بعزل اجزائها عن بعضها البعض ويحذف بالتالي من الوعي العام اهم خاصية للكتابة العربية الابداعية ، وهي خاصية المقاومة الشاملة سواء اكانت قبل احتلال فلسطين ام بعدها . فلسطينيا وعربيا .

ان المقاومة فعل ضد عدو ، ضد تحد معين . فهي غير مجردة عن النقيض الاخر . فما هو العدو الذي تجابهه المقاومة الفلسطينية ؟

بعد سنوات من النضال المرير على الصعيد القومي والاقليمي لم يعد احد يجادل في ان فلسطين وثورتها اصبحت منطقا يعبر عن حركة الامة العربية في نهوضها . ليس فقط لان العوامل المشتركة التي تربط بين اجزائها عوامل مصيرية ، وانما لان التحدي الذي تواجهه واحد رغم تعدد وجوهه . ان التحدي الذي طرحته الحركة الاستعمارية ، لاخر موجاتها الحركة الصهيونية .

وتمثل الرد عليه في الثورة على الشروط التي تحكمت في وضع الوطن العربي تحت السيطرة الاستعمارية زمنا طويلا ، والتي وضعت فلسطين تحت الاحتلال زمنا اطول .

ان المقاومة الفلسطينية هنا تجد نفسها موضوعيا في مواجهة عدو له امتداداته الخارجية والداخلية . وعلى هذا يظل الامتداد الفلسطيني المفجر ضد الامتداد الفلسطيني المتواطىء استجابة لمنطق التاريخ .

على هذا المستوى الايديولوجي لم يستطع الشعر الذي اطلقت عليه صفة المقاومة ، الانطلاق من رؤية شاملة تضع الفعل الفلسطيني كجزء من فعل اوسع مجاله الارضية العربية . فظلت رؤياه قاصرة ، وانعكس ذلك على مجال تاثيره على الوعي . وهو تاثير لم يستطع ان يتحدى الزمان والمكان المعربين السائدين ، بحكم وظيفته الاعلامية وبآفاقها الضيقة .

ولذا ليس مستغربا ان يمجد نظام من الانظمة هذا الشعر وممثليه في الوقت الذي كان فيه هذا النظام يطارد المقاومين الفلسطينيين !

ان تفسير هذا المازق الذي وضع هذا الشعر نفسه فيه ، يكمن في النظرة الاحادية الجانب الى معنى المقاومة . اذ ظلت المقاومة محددة بجغرافية فلسطين وبزمن خاص لها ، بينما تشير كل الاحداث التاريخية البعيدة والقريبة الى ان فلسطين لم تكن في اي يوم من الايام مجرد مساحة جغرافية بل مصيرا عربيا ، وزمنها بالتالي جزء من الزمن العربي .

نستنتج مما تقدم ان الاثار السياسية والثقافية لكلمة « المقاومة » كانت اثارا متشابكة ، وقد ادت الى ما يشبه عقد اتفاقيات ثقافية وسياسية بين اطراف يهمها في الدرجة الاولى منع تحول فلسطين الى لغم مفجر وابقاءها لعبة في صالونات الدجل السياسي والثقافي واهم هذه الاثار ما يلي :

اولا : حددت للكتابة الفلسطينية مهمة مواجهة عدو واحد هو الصهيونية والامبريالية بالمعنى المجرد ، اي بتجريد هذين المفهومين من معناهما الحقيقي الذي يتمثل في احتلال الارض والهيمنة السياسية على اجزاء اخرى في الوطن العربي . ويبدو هذا واضحا بالمقارنة بين الكتابة الفلسطينية قبل وجود المؤسسات « الثورية » وبعد وجودها . لقد كانت الكتابة الفلسطينية اكثر حرية واعمق صلة بارض الصراع الحقيقية .

ثانيا : بتحديد كلمة « المقاومة » وقصرها على الفعل الفلسطيني كما حدد اولا ، اصبح كل فعل عربي يطلق عليه « مساندة » وقسمت الادوار بشكل معكوس تماما فبدل من سيادة مفهوم المقاومة العربية وهي اكبر قدرة بما لا يقاس ساد مفهوم المقاومة الفلسطينية ، وبمعناها المحدد وفق شهادة الميلاد .

ثالثا : ادى هذا الوضع بالضرورة الى تجميد حركة الفعل الفلسطيني وحصره ، ولم يستطع ان يستقطب مجموع حركة المجتمع العربي المتجهة الى الثورة والتغيير .